دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	فلسفة المكان والزمان في التكوين المعماري لقصير عمرة
المصدر:	مجلة علوم وفنون - دراسات وبحوث
الناشر:	جامعة حلوان
المؤلف الرئيسي:	علي، عبدالمنعم طه
مؤلفين آخرين:	الرباعي، إحسان عرسان(م . مشارك)
المجلد/العدد:	مج 20, ع 1
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2008
الشهر:	يناير
الصفحات:	301 - 321
رقم MD:	70191
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	التصميم المعماري، الإمارات العربية المتحدة، الآثار، التراث، التصميم الداخلي، اللوحات الجدارية، الإبداع الفني، القيم الجمالية، التصوير، قصير عمرة (الأردن)، العصر الأموي، الرفاهية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/70191

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

فلسفة المكان والزمان في التكوين المعماري لقصير عمرة

د. عبدالمنعم طه علي
كلية الهندسة/ قسم التصميم الداخلي
جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا

د. إحسان عرسان الرباعي
دكتوراه تاريخ الفن وعلم الآثار
بلدية دبي

المقدمة:

إن جمالية العمران لقصير عمرة التاريخي تثير لدى الباحثين حالة خاصة من التساؤلات والاهتمامات ذات العلاقة بنظرية الزمكانية الشائعة في فنون الأدب المختلفة، والنقد الجمالي حيث فيها يمكن استحضار الزمان بفعل المكان انسجاما مع سياق النص، والعكس أيضا، إذ يمكن استحضار فعل المكان بفعل القيمة الرمانية للحدث، ومثل هذة الرؤية الفلسفية التحليلية يمكن استشعارها في دراسة الجوانب الهندسية والتقسيمات الداخلية والمعالم والرموز التصميمية لقصير عمرة من جهة، وتأثير القيم الجمالية التي يبدو محياها في فن التصوير الجداري، إذ هي لوحات وإبداعات تحكي قصة المكان بحس الزمان، وتأثير الزمان في تكوين الفراغ والفضاءات المكانية، ولذلك ذهب الباحثان إلى تحديد مشكلة البحث التي تتضح تباعا من خلال القراءة للنص، ثم قيامهما بتحديد عدد من الأهداف التي حاولت الدراسة الوصول إليها وتحقيقها.

وقد حدد البحث هذه الأهداف بستة أهداف تعمل على التفسير والاجابة على العديد من الأسئلة القائمة على افتراضات احتمالية وأخرى منطقية من خلال البحث مبينا الأسباب المختلفة لإنشاء هذا المعلم المعماري الهام، واستعراض طبيعة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية، وغيرها في رسم صورها، ثم محاولة إيجاد تفسيرات منطقية لتكوينات القصير ومزاياه المختلفة وتحديد مفهوم الاصالة والمعاصرة فيه، ثم محاولة التحليل الفني

والنقدي لموضوعان الرسومات الجدارية فيه من ناحيتي البناء التشكيلي والمضمون الفني، والوقوف على أساليب التأثر والتأثير التي تحققت فيها بحيث أتضح للباحثين أن التأثير لفعل الزمن والمكان في ذاكرة هذا القصر التي تتأرجح فيها صور الماضي، وملامح الحاضر واستشراق المستقبل لها دورا واضحا وإطارا إبداعيا جماليا في التصميم والتخطيط الهندسي، ومسائل الإبداع الفني والقيم الجمالية. مما ساعد الباحثين على استخلاص استنتاجات مقبولة موضوعية تدفع إلى الخروج بتوصيات ترفد، وتفيد في مثل هذه الدراسات.

مشكلة البحث:

تقوم مشكلة البحث استنادا إلى وجهة علوم الآثار والتاريخ والفنون على قاعدة مفادها أن تاريخ الإنسان الثقافي قد بدأ من اللحظة التي استعمل فيها الإنسان أو صنع، من مادة خام، أداة تعينه على مواجهة متطلبات الحياة الأساسية من سكن أو معيشة أو غيرهما... وبقيت هذه المادة بعده لتكون أثراً دالاً على تجربته ومؤرخةً لعصره. ان تعدد الاستنتاجات والاختلافات في وجهات النظر بين علماء كل ضرب من الضروب يشكل حيرة وحالة قلق للمتلقي بشكل عام، وهذه بحد ذاتها إحدى الأسس التي يعنى بها هذا البحث للوصول إلى بلورة مفاهيم وقواعد ثابتة- شبيهه بالقوانين في العلوم الحرة- عن أسس ومكونات تلك الظواهر ورموز اختلافاتها في المكان والزمان، لقد جاءت هذه الدراسة لتدقيق المعطيات مستعينة بكل الوسائل والأساليب المتاحة، وبالاعتماد على آراء المؤرخين والآثاريين والفنانين النقاد وصولا، إلى استنتاجات موضوعية، فالمؤرخون يمكن من هذه الزاوية عدهم آثاريين متخصصين في دراسة مخلفات الإنسان المكتوبة، وكذلك الفنانون النقاد فهم يدرسون الشكل والخط واللون والإيقاع والانسجام والتصميم وبالتالي (التكوين) أو ما يسمى بلغة الإبداع الفني بـ (الشكل والمضمون) ، فالتدقيق في المعلومات أثناء جمعها، واستخلاص أكبر قدر منها، وتحليل مضامينها وتفسيرها ومناقشتها وإبراز جمالها وإبداعاتها كل ذلك مما تسعى إليه هذه الدراسة لإستراتيجية المكان والزمان في بناء قصير عمرة بالأردن. إذ أن قصير عمرة هو تاريخ مكتوب، وأثر مبنى ومنقوش، وصرح إبداعي وعمل فني جميل، انه شاهد حضاري على قيمة المكان والزمان.

هدف البحث:

يمكن تحديد أهداف هذا البحث بالأمور الاتية:

١. استعراض أهمية العلاقة بين العلوم الإنسانية وتكاملها في تكوين الإطار الزماني والمكاني للمنتج الإبداعي.
٢. الاستفادة من معلم قصير عمرة وتوظيفه في مناقشة التلقي الزماني والمكاني عند الإنسان العربي.
٣. التعريف بخصائص الإرث الثقافي وإدراك الإنسان العربي في الفترات الإسلامية المبكرة لأهمية عنصري الزمان والمكان في تكوين الفكر الإبداعي.
٤. الوقوف على المنهج الاستقرائي للإبداع الفني الذي تمثلت به خصائص العنصر الزماني والمكاني.

٥. الكشف عن تأثير التصميم المعماري في قصير عمرة، وانسجامه من ألناحيتين المكانية والزمانية، والكشف عن مدى ملاءمته لواقعنا البيئي والتراثي والحضاري.

٦. تحليل الخصائص الإبداعية بأسلوب الربط الزماني والمكاني في قصير عمرة تلك التي تتماشى مع الرغبات المعاصرة التي تجمع بين التجديد والاصالة ضمن حالة من التطور تعكس المعقول والمدروس ليتسنى التفاعل الزماني والمكاني .

الدوافع والعوامل التاريخية للحس العمراني في قصير عمرة:

المعرفة الشمولية تكمن في التعبير عن استنتاج حقائق هامة من دراسة موقع معين أو معلم جمالي ما، ومثل هذه الدراسات لموقع أو مبنى معماري أو أثر يعني الوصول إلى استنتاج مفاهيم عامة عن الثقافة والمجتمع في ذلك الوقت (عبدا لله حسن مصري، ١٩٨٨، ص٨-٩). ويعد قصير عمرة واحدا من عشرة من المباني التي توصف بأنها كانت فريدة(شاخت وبوزوث، ١٩٨٨، ص٣٧٨-٣٧٩). إن ذكر المكان يعطينا فكرة عن طبيعة البيئة... والحياة الاجتماعية المرتبطة بذلك المكان. واتسمت الشام الأموية، التي كانت منطقة استيطان عربي كثيف، بتطوير عدد من المواقع إما في مواضع المدن القديمة، أو في المناطق الريفية القديمة، التي أعيد استثمارها. كانت هذه المواقع –المعروفة بفضل آثارها المكتشفة حديثاً – تتوزع على طول طرق المواصلات المطابقة لبعض الطرق الرومانية القديمة أو لبعض مسالك الصحراء، التي كانت تتمتع بأهمية استراتيجية واقتصادية في الوقت نفسه، وتتميز معظم هذه المواقع بقصور الأمويين التي يسكنها أعضاء الأسرة الحاكمة(وائل لرشدان ،١٩٩٤،ص٢٥). حيث أولى الخلفاء الأمويون هذه المنطقة أهمية خاصة، اذ أقاموا فيهما العديد من القصور، كدليل واضح على الرخاء والاستقرار اللذين تميز يهما الحكم الأموي،(شكل ١)(فريد الشافعي،١٩٩٤،ص١٠٨). لذا بنوا في تلك القصور جميع وسائل الراحة كالقاعات الكبيرة والحمامات. وكانت هذه القصور غنية بالزخارف الجميلة، كقصير عمرة، وقصر الحلابات وقصر المشتى(Grabar, 1977, p.33,141). وإيماناً من الدولة الأموية بدور القبائل في مساندتها ودعمها قامت ببناء مثل هذه المنشآت كسباً للمواقف، حيث استندت الدولة الأموية في قيامها على مساندة القبائل العربية التي استقرت في شرق الأردن وسوريا وفلسطين والتي كانت تؤلف أفضل الوحدات المقاتلة(بيلياف ،١٩٧٢ ،ص٢١٢) ومن المرجح أن يكون هذا القصر (قصير عمرة) من القصور التي عنى الأمويون ببنائها لأسباب سياسية واجتماعية(حسن الباشا ، ١٩٥٩،ص٤٩) فمن خلالها نظر أهل المنطقة إلى الحكم الأموي نظرة مودة وتقدير.ويعد بناء قصير عمرة احد معالم تقدم العمران في المنطقة وزيادة الإنتاج فيها . ولقد كان الأمويين يجسدون السيادة العربية في البلدان التي كانت الخلافة الأموية تتألف منها، كما أن طبيعة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي طرأت على الخلافة في عهدهم، أسفرت عن انتصار العلاقات الاستراتيجية بين شعوب الدولة العربية؛ كما أن تولي الأمويين السيادة السياسية والعسكرية كان بمثابة مرحلة انتقال في تاريخ المجتمع الذي ضم أمما متعددة في البلدان العربية زمن

العصور الوسطي(بيلياف، ١٩٧٢، ص٢١٥ -٢١٠) . وحول أهمية هذا القصير يقول ويـــوزورث: "إن تلـــك المنشآت كانت كلها ذات أنماط متشابهة فإن معرفتنا بها تجمعت من أنواع شتى من الأصول. فلدينا من ناحيـــة قصور بني أمية في بادية الشام، التي لم نعرفها إلا عن طريق الحفائر الأثرية. ولدينا في الطرف المقابل تلـــك المباني التي أقيمت في بغداد والتي لا نعرفها إلا من النصوص" (شاخت وبـــوزورث، ١٩٨٨، ص٣٨). وهـــذا يعني أهمية واستراتيجية المكان والزمان معاً. فقصير عمرة بمكانه وزمانه يعني معلماً مـــن معـــالم الحضـــر. والإقامة فيه تتميز أساساً بالاستقرار الذي يتطلب تنظيم المجتمع بين أفـــراده(عبلة المعتـــدي ، ٢٠٠٢،ص٢٤-٢٥). وأن بناء هذا القصر والإقامة به ربما لأسباب مجتمعة يمكن تحديدها بـــ:

- عدم التكيف التام بحياة المدينة التي كانت متأثرة بالحضرية السالفة. وإن اشتياقهم وحنينهم إلـــى حيـــاة البداوة من الأسباب التي جعلتهم يحرصون على الإقامة فيها من حين لآخر (عبد القادر الريحـــاوي، ١٩٩٩، ص٤١).
- رغبة الخلفاء في التقرب من أهل البادية وكسبهم على الدوام حيث كان الاتجاه في بناء هـــذا القصـــير نحو القرب من السيول والوديان وحول موارد المياه، والبئر العميق في قصير عمرة يدل على ذلـــك، إضافة إلى توفر المواد الأولية من حجارة ورخام وصفت بشكل متقن (دومانيك سورديل، ١٩٨٠، ص٤١).
- سعى الخلفاء إلى الهدوء والراحة في الأماكن الجديدة، والاستمتاع بالصيد.
- البادية مدرسة مهمة للأمراء الأمويين لتعلم اللغة الفصحى. والحراك الاجتماعي.

وثمة سبب أخر هو توالي الأوبئة والأمراض على المدن كمدينة دمشق وغيرها. إضافة إلى كون هـــذا المكان آمنا أمام الحملات المختلفة اذ كانت مثل هذه المناطق ملاذا آمنا لا تستطيع جيوش الأعداء الدخول إليه، وهي تقع ضمن التقسيمات الإدارية ضمن جند الأردن والذي كان يشمل الأردن حالياً إلى حدود بصرى الشـــام والذي يمر به الطريق الآمن للاتصال التجاري المألوف مع منطقة دمشق إلى الشمال ومن غير شك أن مثل هذا القصير قد اختير من حيث علاقته بالمناطق العسكرية، أو الجند بوصفه المنطقة التي تشكل مناطق تعبئة وتجديد وولاء فهي إذا هامة من ناحية الاستراتيجية السياسية والعسكرية، وهذا ينطبق على غير قصـــير عمـــرة مثـــل القصور التي كانت تثير الإعجاب كقصر المشتى، والموقر، قصر الطوبة، وقصر الحرانة وقصـــر الحلابـــات. وهكذا إن أكثر القصور العربية الإسلامية في بادية الشام تتميز بجدران قوية وذلك لوجودها في مناطق بعيـــدة عن العمران ،وتأمينا لسلامة الخليفة والأمـــراء الذين كانوا يقيمون فيها(فريد الشـــافعي ، ١٩٩٤ ، ص٢٨٥-٢٨٦). كما أنه يعتقد أن بناء هذا القصير وغيره من القصورالأخرى(نقولا زيادة، ١٩٨٩، ص٤٤) كانت مـــن أجل زيادة الكثافة السكانية في المنطقة وهي فكرة أموية أشاعها الأمويون في صحارى الشام لزيادة الكثافة فيها (صالح درادكة، ١٩٨٩، ص٤٤).

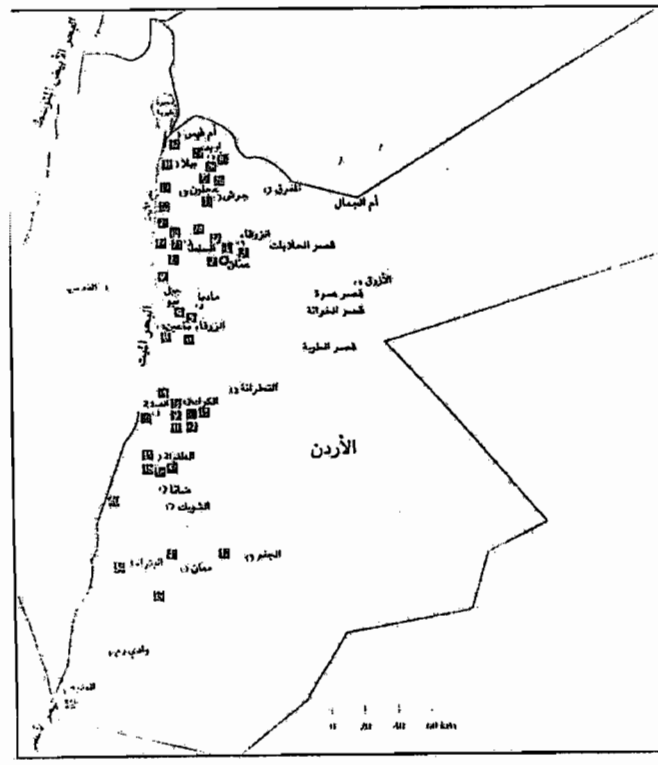

شكل (١)

مواقع بقصور الأمويين التي يسكنها أعضاء الأسرة الحاكمة. حيث أولى الخلفاء الأمويون هذه المنطقة أهمية خاصة، اذ أقاموا فيهما العديد من القصور، كدليل واضح على الرخاء والاستقرار اللذين تميز بهما الحكم الأموي

الوصف المكاني والزماني لموقع قصير عمرة:

يقع قصير عمرة (شكل ٢) على حافة وادي البطم الذي يبعد مسافة ٨٠ كم تقريباً إلى الشرق من العاصمة عمان، ويرجع الفضل في اكتشاف هذا القصر إلى الرحالة التشكيلي لويس موزيل، الذي زاره عام ١٨٩٨. وعاد إليه مرة أخرى عام ١٩٠١ يرافقه الفنان النمساوي الرسام ميليخ الذي قام بنقل ورسم التصاوير والرسوم الفنية في جداران القصير وسقوفه، وقام بعد ذلك بنشر هذه الرسومات في مجلد طبع في فينا عام ١٩٠٧ (فوزي زيادين، ١٩٨٨، ص٦٥). وفي عام ١٩٠٩ قام العالمان الفرنسيان جوسن وسفيناك بزيارة القصر وأجريا مراجعة للدراسات السابقة محاولين إصلاح بعض الأخطاء المنهجية للدراسة الأولى التي قام بها موزيل. وقد نشرا ما توصل إليه العالمان من آراء وأفكار في كتاب نشر عام ١٩٢٢ إلى أن تبعهما العالم كريزول في دراسته الوافية لهذا القصير معتمداً على دراسة العالمين الفرنسيين السابقة. ونشر كريزول آراءه في سياق (كتابة الآثار الإسلامية الأولى (كريز ول، ١٩٨٤ ص١١٩)، أنشئ قصير عمرة في عهد الوليد الأول بن عبد الملك في الفترة ما بين ٧١٢ – ٧١٥ ميلادية استدلالاً من كتابات كثيرة بالعربية وجدت داخل هذا القصير، وبسبب

رسوم للأباطرة والملوك كانت فيه وخاصة الملك روذريق الذي قتله العرب عام ٧١١م (شـــاخت وبـــوزورث، ١٩٨٨، ص١١٩).

التحليل الوصفي للاقسام المكونة لقصير عمرة:

يمكن وصف المخطط الافقي(شكل٣) للقصير بأنه بناء صغير نسبياً يتكون من ثلاثـــة أجـــزاء معماريـــة رئيسية هي:

أولاً: قاعة الاستقبال:

قاعة الاستقبال مستطيلة الشكل، مساحتها حوالي ٦٤م، يعلوها سقف نصف برميلي، يتكون من ثلاثة أقبية، ترتكز على الحائطين الشرقي والغربي، ومن عقدين مدببين مقامين بأسلوب ساساني، ويحـــف بالقاعـــة مـــن الجانبين غرفتان مظلمتان، تستخدمان للقيلولة، وإضاءتهما محدودة من خلال فتحات دائرية صـــغيرة بـــالأعلى، وفرشت أرضيتها بالفسيفساء المنفذ بأسلوب جمالي وإتقان فني وتشبه هذه الأرض الفسيفســـائية فـــي زخارفهـــا الهندسية والبنائية وسائر موضوعها تلك الفسيفساء التي في ماديا(محمود صادق، ١٩٩٥، ص٤١). وينتهي العقد الأوسط بمقصورة العرش على شكل حنية مليئة بالصور النباتية، وهي حنية مجوفة متعامدة الأضلاع، وليســـت مستديرة كالمحراب، محدثة مثلثات كروية من تداخل القباب، وأن هذه المثلثات الكروية في قصير عمرة كان لها وظيفة تحويل المسقط المربع إلى دائرة ترتكز عليه الحـــافة السفلى الدائرية للقبة (شكل ٤) (فريـــد الشـــافعي، ١٩٩٤، ص١٤٠)، وهي فكرة محلية صناعها من الشاميين. وهذا يعنـــي وظيفيـــاً أن يكـــون البنـــاء متوازنـــا وقويا(فريد الشافعي، ١٩٩٤، ٦٥٩). أما الصورة التي في هذه الحنية تعد إحدى الصور التـــي تنســـب أهميـــة القصير إليها لأنها تصور الخليفة، وهو جالسٌ على عرشه يقف على جانبه شخصان، وتحيط برأسه هالة، فوقها مظلة محمولة على عمودين حلزونيين، وصف من الطيور الصغيرة، ويبدو تأثير الأســـلوب الساســـاني فيهـــا واضحاً(شكل٥). وما يميز هذه القاعة أيضاً هو كثافة الرسوم والتصاوير الجدارية التي تغطي معظم الجدران بالنصف الأعلى والسقوف المختلفة هذا من جهة وميزة ثانية هو تنـــوع الموضـــوعات واختلافهـــا فـــي هـــذه التصاوير.

وقيل فيها انه لا يوجد لها مثيل من حيث الاتساع في أي بناء مدني قبل الفن المسيحي فـــي القـــرن الأول الميلادي. وتمتاز هذه التصاوير أيضاً بالقدرة الفنية في تنفيذها والتقنية المتقنة فيها، حتى بلـــغ ســـماكة الطـــلاء حوالي ٣سم مستخدماً فيها الألوان الأساسية والمشتقه كالأزرق بدرجاته وبريقه، والأصفر الغـــامق، والأخضـــر المائل نحو الزرقة والبني الغامق، أما اللون الأحمر لحيطانه ورسوماته الداخلية عكست بأنـــه كـــان خصيصـــاً للخليفة الأموي. مما أظهرها موزعة بشكل متناسق وتوافق لوني يندر تحقيقه فـــي مثلهـــا(كريـــزول ،١٩٨٤ ،ص١٢٣). وهي ذات تأثير نفسي وقدرة عقلية تجعل من المشاهد شخصاً قادراً على فهم الفن الإســـلامي فـــي بداياته، مما يظهر الإحساس بالتصميم اللوني وخلق حالة ذات مزايا مكانية وزمانية تعكس الظـــروف النفســـية

ويتفق فيها الإنسان مع الكون(ريتشاردانتجهاوزن، ١٩٧٣، ص٣٠). وفي الجدار الغربي لهذه القاعة توجد أهم التصاوير، وهي الصورة التي يطلق عليها (الملوك الستة)(وجدان علي، ١٩٨٨، ص٥٠)، (شكل رقم ٦)، وهي عبارة عن منظر يتألف من رسوم لستة أشخاص يرتدون ملابس جميلة، تعكس رقي مستواهم وسمو طبقتهم الاجتماعية، يقفون في صفين أمام بعضهم بعضا، ويظهر فوق رؤوس بعضهم كتابة عربية وأخرى يونانية تدل على أسماء بعضهم ولا تزال باقية منها، فالأول من اليسار بالصف الأمامي فوق كلمة "قيصر" بالعربية واليونانية، والثالث بالصف الأمامي فوق كلمة "كسرى ملك الفرس، والثاني بالصف الخلفي فوق كلمة (روذريق) اخر ملوك أسبانيا ذلك الذي قتلته الجيوش العربية سنة ٧١١م ، والرابع بالصف الخلفي كلمة (النجاشي) ملك الحبشة(وهو موضوع رسمي، سياسي.وقد تعددت أراء مختلفة ومتضادة تناقش تفسير وجود هؤلاء الملوك في الصورة وتسمياتهم" (لانكسستر ،١٩٧١ ،ص١٢٣_).

ومن جهة أخرى هناك تصاوير لمشهدٌ حي لصيد البقر الوحشي بتعبيرية ودقة حركة وحيوية، أضف إليها صور قطع الحجارة وصور العمال(شكل٧)، يعكس أساليب فنية مدروسة بل هي دليل واضح على وجود حركة فنية تشكيلية لها رموزها ومعانيها واستمراريتها عبر القرون(محمود صادق، ١٩٩٥، ص٤١)، وأن صورة الجمل مع العمال وهو بارك من اجل حمل الحجارة، لها دلالات، إذ من المعروف ان صورة الجمل رمز للزمن الصعب والخطير، فالجمل يعرف بسفينة الصحراء في مخاطرها وصعوبتها أي في بحر متلاطم مهيب، ومفزع (محمد الاتاسي، ٢٠٠٢، ٣٠١)، بمعنى ديمومة الزمن في المكان، ومن الأمثلة الأخرى والمنفذة بتقنية مختلفة رسوم أرضية "المخدعين" الغرف والمزينة بالفسيفساء الحجرية بزخارفها النباتية والحيوانية تعكس أساليب بيزنطية وتأثيرات محلية مما يحمل إشارة واضحة على استمرارية الموضوع زمانياً. أي أن هذه الرسوم والتصاوير تدل على أن الفنان الأموي يتسم عمله بالتجديد).أي أن هذه التصاوير الجدارية تحمل دلائل واضحة على استمرار الفن عبر العصور (محمود صادق، ١٩٩٥، ص، ٤٣).

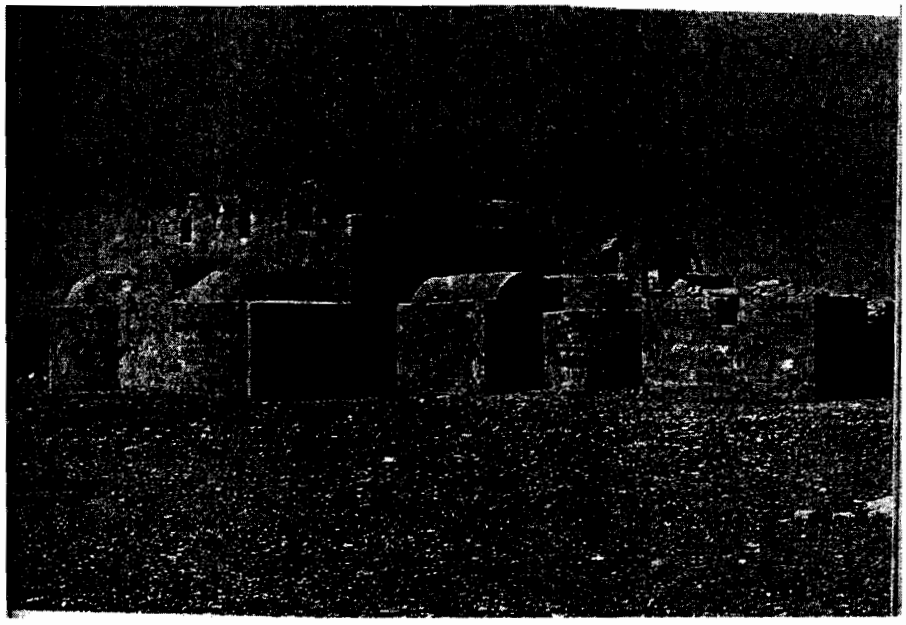

(شكل ٢)
مظهر خارجي لقصير عمرة

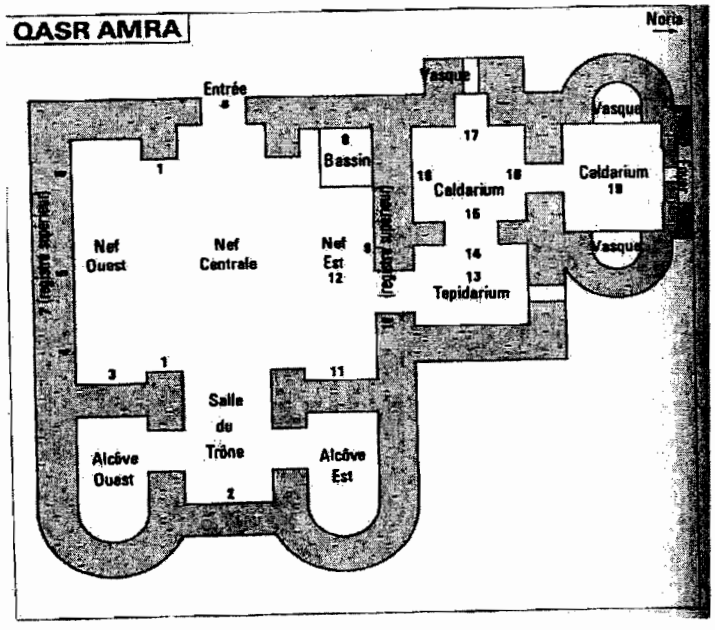

(شكل ٣)
مخطط افقي لقصير عمرة

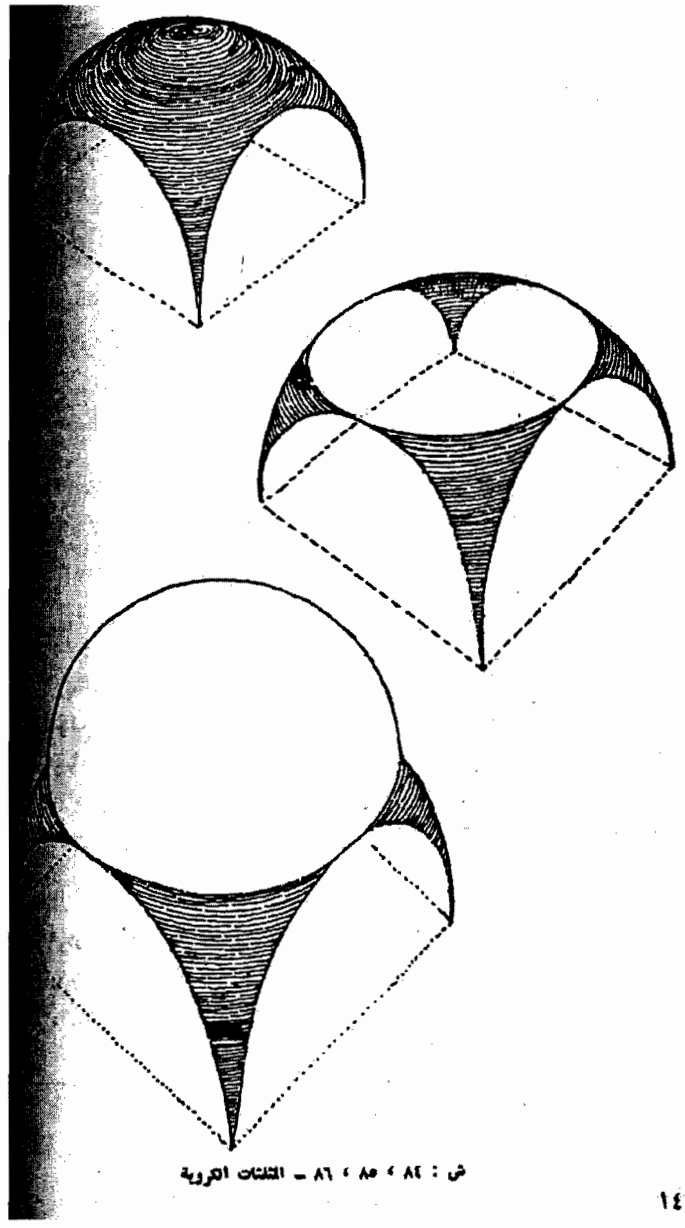

شكل (٤)
حنية مجوفة متعامدة الأضلاع، وليست مستديرة كالمحراب،
محدثة مثلثات كروية من تداخل القباب

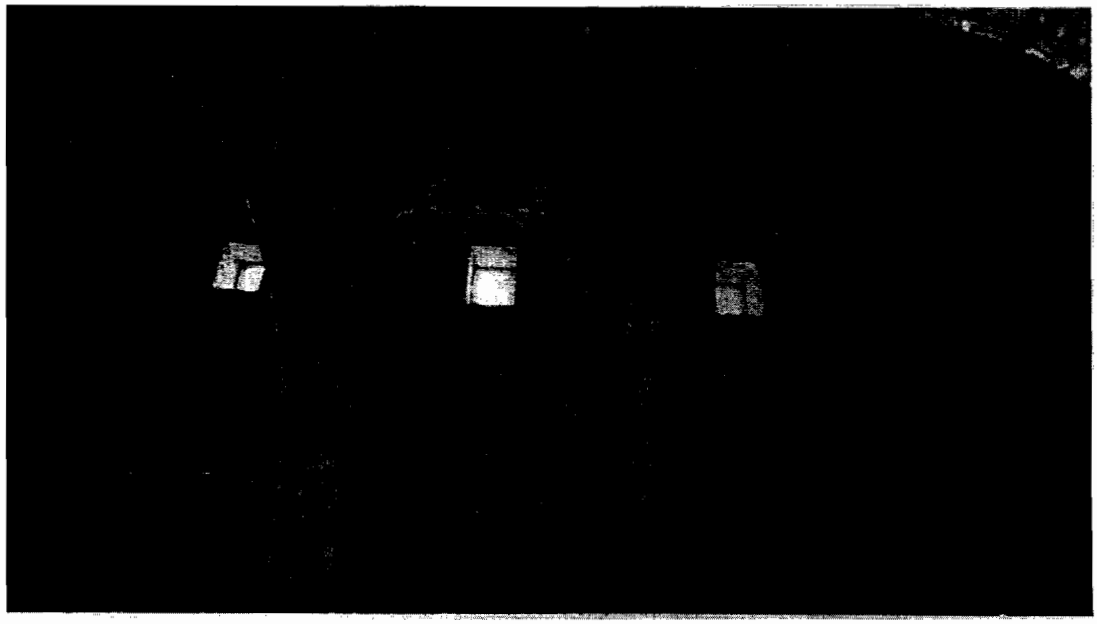

شـــــكل (٥)

إحدى الصور التي تنسب أهمية القصير إليها لأنها تصور الخليفة، وهو جالسٌ على عرشه يقف على جانبه شخصان، وتحيط برأسه هالة، فوقها مظلة محمولة على عمودين حلزونيين، وصف من الطيور الصغيرة

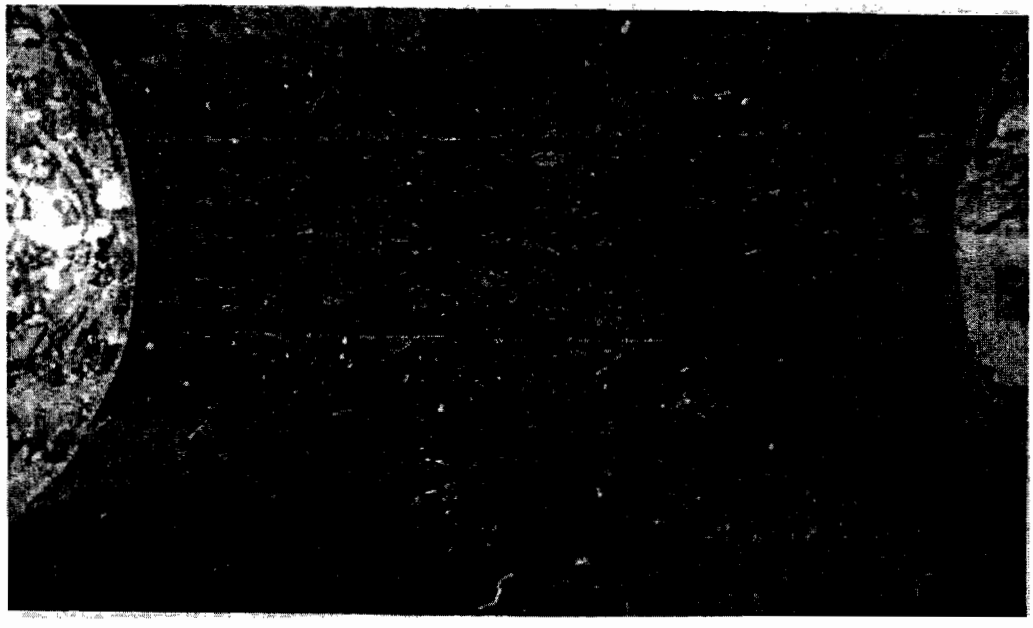

شكل (٦) (الملوك الســـــتة)

منظر يتألف من رسوم لستة أشخاص يرتدون ملابس جميلة، تعكس رقي مستواهم وسمو طبقتهم الاجتماعية، يقفون في صفين أمام بعضهم بعضا، ويظهر فوق رؤوس بعضهم كتابة عربية وأخرى يونانية

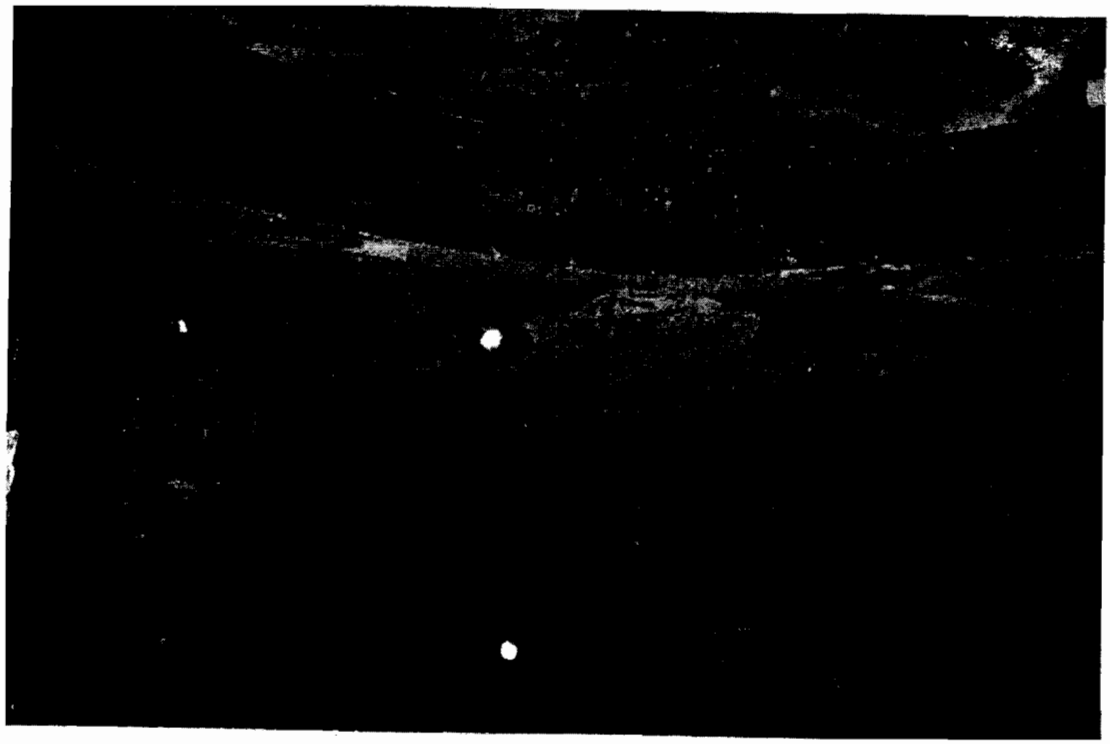

شكل (٧)

صور قطع الحجارة وصور العمال، يعكس أساليب فنية مدروسة بل هي دليل واضح على وجود حركة فنية تشكيلية لها رموزها ومعانيها واستمراريتها عبر القرون

ثانيـــاً: الحمّام في القصير:

وهو يشكل الجزء الشرقي من القصير. ويتألف الحمّام من ثلاث غرف صغيرة تم تصميمها حسب النموذج والتصميم الروماني الذي يتكون في الحقيقة من ثلاث وحدات أو غرف هي:

الغرفة الباردة وهي عادية تستعمل لخلع الملابس مزينة بسقوفها التي على شكل قبو اســطواني بصــور تمثل مراحل العمرومناظر أسطورية لإنسان وحيوان وطائر داخل أشكال أو براويز معينيــة بلــغ عــددها حوالي سبعة عشر معيناً نتج عنها اثنا عشر مثلثاً وهي أشكال هندسية داخلها صور (شكل٨).

أما الغرفة الثانية(شكل٩)، وهي متوسطة الحرارة يدخل الهواء الساخن إليها من خلال فتحات خاصة، وهي مسقوفه بعقد متقاطع، فيشاهد على جدرانها المختلفة رسوم أدمية لنساء عاريات وأطفــال(الباشــا، حســن، ١٩٥٩، ص، ٥٩)، تعكس الأسس الجمالية في الفكر العربي ومعاييره بالعقلية العربية وقــد أورد بعــض المؤلفين هذه الأوصاف العربية في مؤلفاتهم (بهنسي، عفيف، ١٩٨٣).

أما الغرفة الثالثة وهي الغرفة ألحّارة، وهي مسقوفه بقبة نصف كروية في نهايتها بقايا الموقد (شكل١٠). والجديد أيضاً بهذا النظام هو التصاق الحمام بالسكن مباشرة فأصبح جميع البناء كتلة واحدة، وربما كــان هذا التصميم بفعل وتأثير العامل الديني (الشافعي، فريد، ١٩٩٤، ص١٥-١٦).

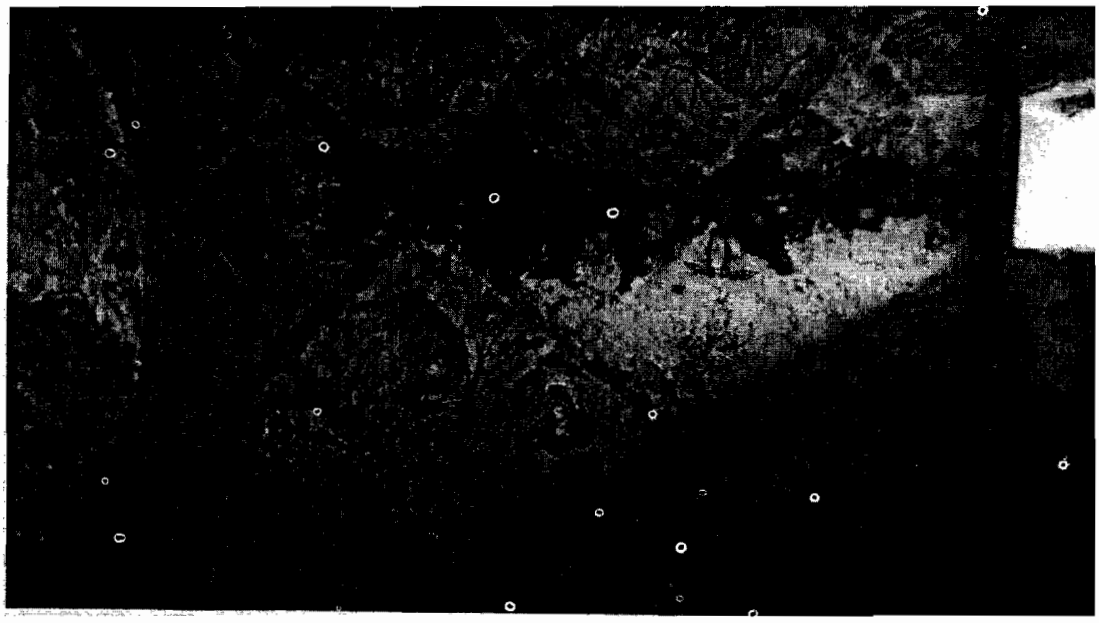

شكل (٨)

الغرفة الباردة تستعمل لخلع الملابس مزينة بسقوفها التي على شكل قبو اسطواني بصور تمثل مراحل العمرومناظر أسطورية لإنسان وحيوان وطائر داخل أشكال أو براويز معينية بلغ عددها حوالي سبعة عشر معينياً .

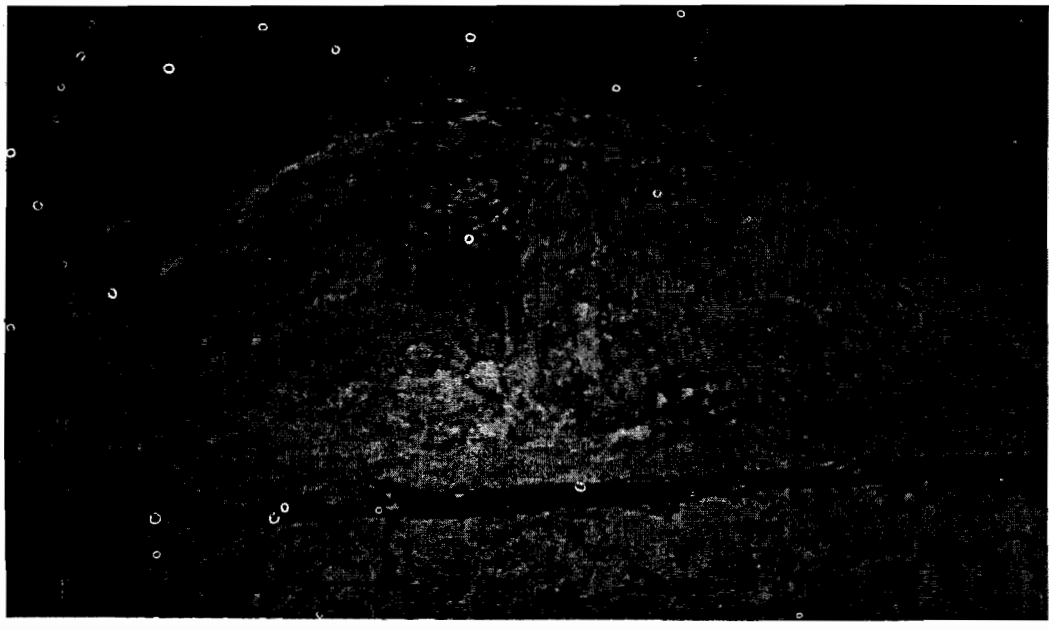

شكل (٩)

الغرفة الثانية، وهي متوسطة الحرارة يدخل الهواء الساخن إليها من خلال فتحات خاصة، وهي مسقوفه بعقد متقاطع، فيشاهد على جدرانها المختلفة رسوم أدمية لنساء عاريات وأطفال.

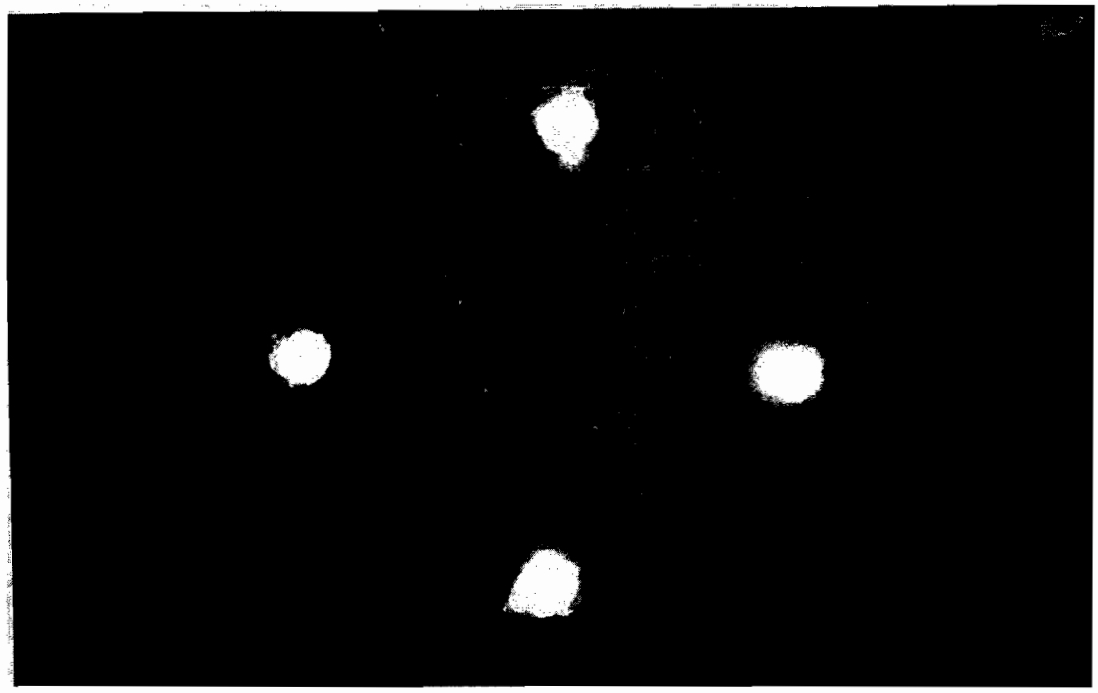

شكل (١٠)

الغرفة ألحّارة، وهي مسقوفه بقبة نصف كروية في نهايتها بقايا الموقد

ثالثاً: المنشأت المائية :(الخزانات والبئر):

تتألف المنشأت المائية من ثلاثة اقسام، تقع على مقربة من غرف الحمام.القسم الاول، عبارة عن خزان مقام على قاعدة مربعة الشكل ومرتفعة، لتسمح بانسيابية المياه عبر انابيب فخارية الى النافورة المشيدة في قاعة الاستقبال. القسم الثاني، يمثل خزان صغير مقام فوق الموقد القريب من الغرفة الحارة .أما القسم الثالث ،فهو عبارة عن بئر يقع أمام المدخل الرئيسي وفي الجهة الشمالية من القصير، يمتازبعمقه وضخامته (شكل١١)، ويعتبر المصدر الاساسي في تزويد الاقسام بالمياه (غازي بيشة،١٩٨٨، ص١٢١).

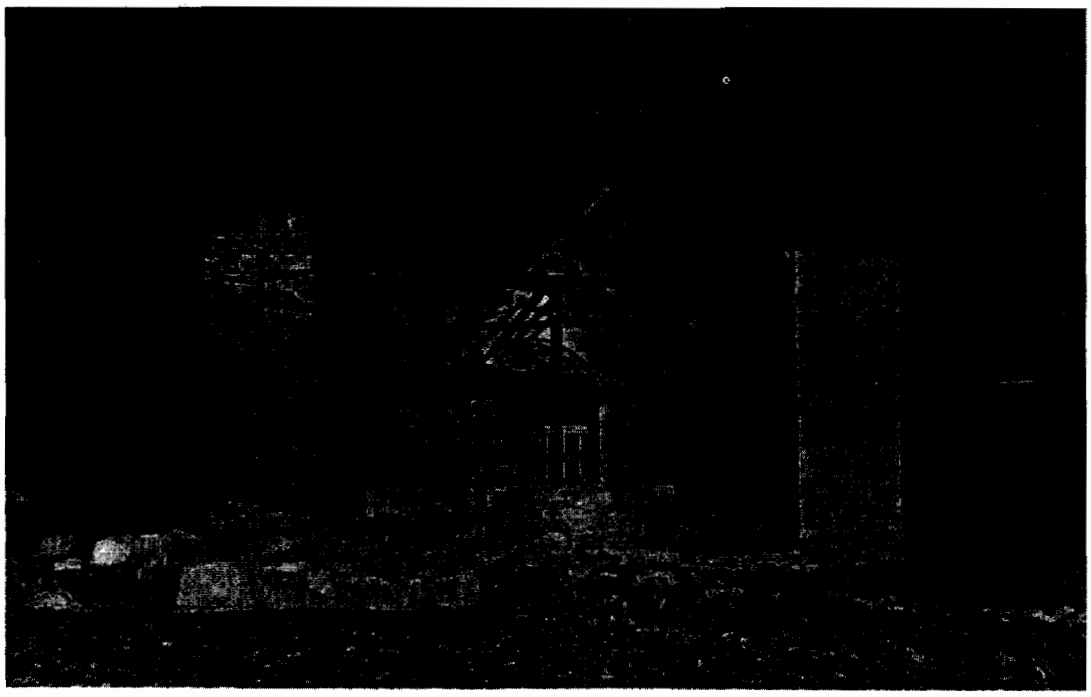

(شكل١١) البئر والخزان

فلسفة التصميم والتخطيط الهندســـــي:

يتجلى النضج المعماري الإسلامي في تصميم قصير عمره الذي ينفرد بتخطيط مشـــترك مـن حيـث تواصل المباني، وصغر الحجم، قلة عدد الوحدات المعمارية. لقد أتضح بالتحليل الروح العلميـة، والمسـتوى الهندسي المتقدم الذي كان يسود في عمارة تلك الفترة(شكل١٢)، والذي كان بتشجيع من السلاطين والحكام من حيث التخطيط والتقسـيمات ونظام التسقيف، ونظام التهوية والإضاءة، ونظام تخطيط الحمامـات، والقاعـات، وتوزيع المساحات، ونظام تدفئة الحمام، ومصادر توريد المياه وحفظها. حتى قيل ان قصير عمـره هو أكثـر مبنى اثري يحافظ على شكله وتصميمه اللذين يكشفان عن استخداماته من حيث مراسيم الاسـتقبال والإقامـة فيه إضافة إلى مميزاته الهامة أن دراسـة مثل هذه الآثار تجعل لدى الإنسان مقدرة خاصة على تفهم وتطـور حياة تلك الشـعوب والأقوام. ولما كانت العمارة هي نتيجة كل محاولة قام بها الإنسان وهدف بها إلى أن يوفر لنفسه في معيشته ثلاثة مطالب هي(الشافعي، فريد، ١٩٩٤، ص٤٦-٤٧):

١. الراحـة.
٢. الأمـــن.
٣. الجمـال.

وعليه فان بناء قصير عمرة لا يخرج عن هذه المطالب الثلاثة. ومن جهة ثانية اتضح انه في تسقيف قصير عمرة اتبعت أحدى طرق التسقيف الساسانية من حيث تشييد عقود عرضيه متساوية توضع بعرض القاعة أو الديوان، وتتوالى وراء بعضها في الاتجاه الطولي ويملأ ما بين كل عقدين بقبو عريض يسير بين الجدارين الجانبيين، ويرفع مركز نصف دائرة فوق قمتي العقدين اللذين يحصرانه، فكأن القاعة قد غطيت بقبو طولي كبير ينقسم إلى جملة عقود متوالية تفصل بينها أقبية عرضية، وعلىّ الرغم من أن الحمامات الإسلامية، ومنها (حمام قصير عمرة) قد اقتبست فكرة الوحدات الثلاث وطريقة اتصالها ببعضها حسب النموذج الروماني ونواته ثلاث وحدات هي: باردة (جو عادي) والدافئة المعتدلة، والحارة (الساخنة)،إلا أنها قد خضعت للتقاليد الإسلامية الجديدة، وهي مرتبطة مع السكن أي ملحقه بمسكن بخلاف الرومانية. وبالتحليل أتضح النضج المعماري الإسلامي في الصميم من حيث تواصل المباني وصغر الحجم، وقلة الوحدات المعمارية. وهذه ميزة معمارية إسلامية(الشافعي، فريد، ١٩٩٤، ص١٥).

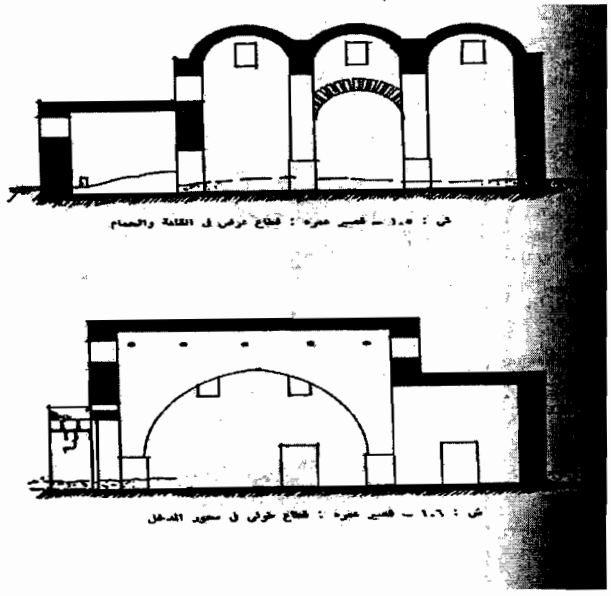

(شكل١٢)

مقاطع عرضية لقصير عمرة

الإبداع الفني والقيم الجمالية في قصير عمرة:

عند دراسة الرسومات الجدارية لقصير عمرة يتضح لنا سمو المستوى الفني والحس الجمالي في التقنيات، واستخدام المواد الأولية، من ألوان، وفريسكو، وحجارة فسيفسائية، وغيرها، إضافة إلى القدرة على اختيار الألوان، وتوزيع العناصر والألوان والخطوط، والاشكال وتناسبها، وانسجامها، مما يدلل على ذوق راقٍ وثقافة فنية ورؤى بصرية، وتذوق جمالي يعكس امتلاك حساسية خاصة بقيمة الزمان والمكان. ان قصير عمرة

برسوماته التكوينية وعناصره المختلفة أكد على أن القصير هو معلم إبداعي ومبنى يتميز بهندسته وقيمته المعمارية الجميلة بحيث استطاع أن يستوعب جميع أنماط الفنون التكميلية في ميدان العمارة من تشكيل، وتصوير، ورسم، وغيرها، وبالتالي يمكن القول انه جرى فيه التمازج والتفاعل ما بين مفردات لغة الخط واللون والشكل مع لغة الحجم والحيز(الشافعي، فريد، ١٩٩٤، ص١٠-٩)، أو الكتلة والفراغ. بمعنى لغة التشكيل مع لغة التكوين والتصميم المعماري. فمثلاً التصاوير عكست الإحساس بالزمان في بعض الرسوم الشريطية في قصير عمره، إضافة إلى التعامل اللوني والتحكم بتوزيعه كحال اللون الأزرق الذي بدا في جميع اللوحات متقاربا من حيث الارتفاع، مما أعطاها جانباً جمالياً وتشكيلياً يوحي بالزمن

(استمرار الزمن) واستمرار الرؤية (التتابع الصوري)، وأيضا تجاور وتمازج اللونين الأزرق والبني في مساحات كبيرة أوجد حالة خلق مكاني يتسم بالاستمرارية والإحساس بالثقل المكاني وكتلته(الربضي، إنصاف، ١٩٩٥، ص٣٧٨).

مضامين الموضوعات في صور ورسومات قصير عمرة الجدارية:

الإدراك الحدسي للأعمال الفنية لا تكون مغايرة عن إمكانية إدراك الموجودات المحيطة بنا أو المتعايشة معنا، والتي تتبلور عن طريق تفسيرها للهواجس المعبرة عن الوجدان تلك التي لا يمكن الوصول إليها بأسلوب المخاطبة.

(C.F Charles Marris, pp. 409-423).

تعد الصور والرسوم الجدارية في قصير عمرة من أقدم الصور التي تم اكتشافها وتعكس درجة عالية من الأهمية في مضامينها في تاريخ التصوير الإسلامي المبكر(الباشا، حسن، ١٩٥٩، ص ٥٦)، وتتلخص موضوعات الرسوم والتصاوير بمواضيع الكائنات الحية والمشاهد الحية لحمير وحشية وكلاب سلوقية تظهر طرائق الصيد وأساليب الاقتناص، وهناك مواضيع آدمية إنسانية تعكس مختلف المستويات فمنها صورة للخليفة وملوك وأباطرة فهي تعكس موضوعا رسميا وسياسيا وتقاليد ومراسيم، وأخرى لنساء عاريات مستحمات وتمتاز الرسوم الخاصة بالنساء من حيث انها أكثر تحرراً وأكثر طبيعية، وهناك صورا أخرى لجارية ومشاهد طرب ولهو، ومشاهد إنسانية أخرى تعكس الحياة الاجتماعية العامة كعمال الحجارة ،ونقلها، وقطعها، وأيضا ملامح لرسوم فلسفية خاصة(شكل١٣) ،تعكس مراحل العمر،ورسم لقبة السماء،وبعض النجوم،فضلا عن البروج المختلفة (زكي محمد حسن،١٩٤٥،ص١٥٨،١٥٧).

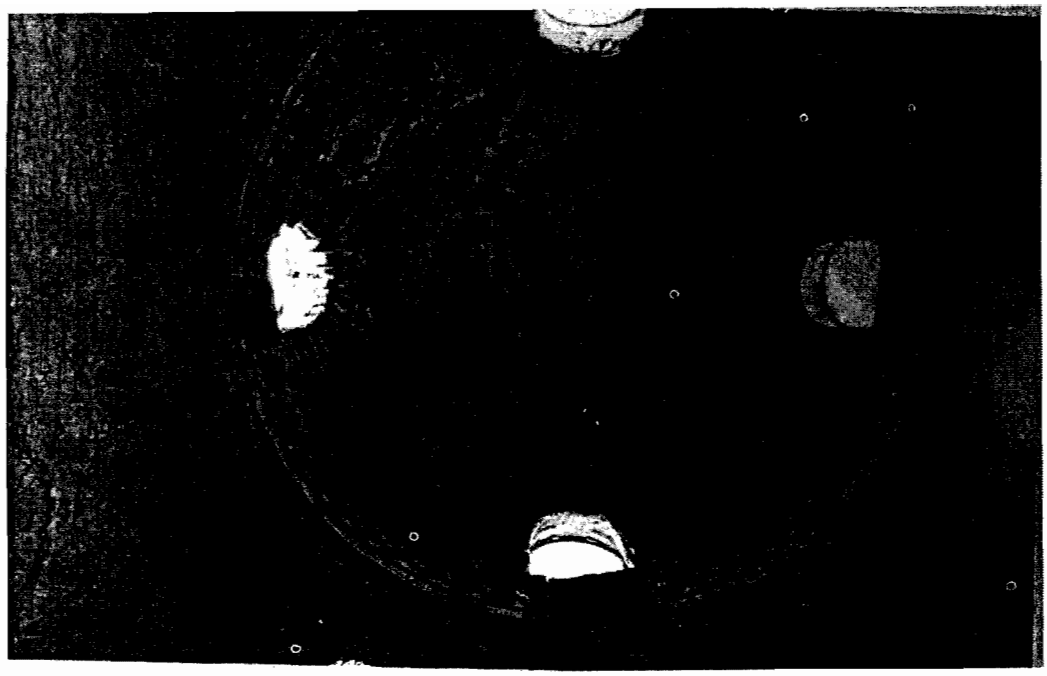

(شكل١٣)

قبة الأبراج السماوية في قصير عمرة

إضافة إلى زخارف من التو ريق والعناصر الهندسية وفسيفساء ذهبيـــة، ونوافـــذ ملونـــة وبـــذلك يقـــول المعماريون ان السكن، كقصر أو منزل أو غيره هو خلية عمرانيـــة اجتماعية، وليس هو منشـــأة فـــي فـــراغ اجتماعي(عبدا لحميد، سعد، ١٩٨٦، ص ٥٠٤). وهو بذلك يحقق أهدافا ثلاثـــة:-

١. اللقاء مع الآخريـــن.
٢. التوافـــق معهم.
٣. تحقيق الســـكنية والتفرد.

وهذا يعني انه من خلال المعرفة للعلاقات بين خصائص البيئة والتأثيرات المعرفية والوجدانية والســـلوكية الجمالية لهذه الخصائص، حيث ذكر د.شاكر عبدا لحميد بقوله " من خلال المعرفة المناسبة بين خصائص البيئة والتأثيرات المعرفية والوجدانية والسلوكية الجمالية لهذه الخصائص يمكن للمختصين في مجال التصميم البيئـــي والمعماري أن يقوموا –على نحو أفضل– بالتخطيط والتصميم والتنفيذ والإدارة الجيدة للمواقع، بما يتناسب مـــع التفصيلات الجمالية للأفراد الذين يستخدمون هذا المكان، أو يتوقع أنهم سوف يستخدمونه في المستقبل"

(شاكرعبدالحميد، ٢٠٠١، ص، ٤١، ٥٨٢-٥٨١).

التراث المكاني والزماني في المفهوم التكويني لقصير عمرة:

أن قصير عمرة في الدراسات التراثية يعد احد الرموز المعمارية التي تعبر عن الماضي والواقع والطبيعة والإنسان، فهناك مخزون ثقافي موجود في هذا العمل الفني المتناسق والمنسجم، ويلاحظ هذا التناسق والانسجام في التركيبات التكوينية لا جزائه المختلفة والزخارف المنفذة غلى الجدران ومواضيع اللوحات التي نفذت بأسلوب واقعي يظفي عليه الحركة والحياة ضمن خط جمالي يمتد من تقاليد الفن العربي القديم والتأثيرات بالفن الكلاسيكي الروماني والطرز الفنية البيزنطية والساسانية(Grabar, 1977, p.162)

تتجسد المتعة الجمالية من خلال الطبيعة التاملية الخاصة بالحس الزماني الذي يكتنف الرسومات المنفذة في قصير عمرة حيث ذكرت ألربضي بقولها " إننا نحس بالزمان في بعض الرسوم الشريطية في قصير عمرة، وذلك من خلال الرسم إلى الخارج، فتبدو نافذة مفتوحة وكأننا لا نحس بإطار من خلال عدم اتجاه العين إلى مركز اللوحة، لان العقل يكون البديل للربط السلس "(ألربضي، ١٩٩٥، ص، ٣٧٨).

ومن خلال هذه المعطيات الجمالية التعبيرية والتي جسدت عند التقاء عاملي المكان والزمان لهذا التكوين المعماري الذي يؤدي إلى اندماج المشاهد أو المتلقي وجعله في حالة من التأمل والاستمتاع والعيش في حس الماضي، وبروح الحاضر، حيث ذكر د.شاكر عبدا لحميد بقوله" تحدد المتعة الجمالية من خلال الطبيعة الخاصة بالتأمل الجمالي، والذي يتم خلاله:التعليق أو الإيقاف المؤقت، التمايز(والانفصال)العادي بين المشاهد والعمل الفني المواجه له.فالمشاهد والعمل الجمالي شيء واحد من غير أي شعور بالانفصال بين ألذات والموضوع. لذلك فان المتعة الجمالية متعة لا موضوع لها، إنها تنشا من خلال تلك الوحدة الخاصة بين الشخص المتأمل والعمل الفني"(شاكرعبدالحميد ،٢٠٠١،ص،٥٨٢،٤١-٥٨١).

فالمتعة الجمالية هنا سمتها التمسك بروح المعرفة لخصائص المكان والزمان بحيث تكون هذه الروح هي المخزون الذي هو التراث. وقد خلص الشافعي للدلالة على علاقة الزمان والمكان (ذاكرة) بقوله..." أن جوهر العمارة العربية والإسلامية، أي عظامها وما يكسوها لحم عربي إسلامي خالص. وأما مظهرها وثوبها الخارجي فقد دخل في نسيجه بعض خيوط من طرز سابقة، وسرعان ما أصبح عربياً إسلاميا في سداه ولحمته ووحداته وعناصره الزخرفية" (الشافعي، فريد، ١٩٩٤، ص٢٧٧).

الاستنتاج:

ان دراسة قصير عمرة بواقعه المكاني والزماني وتاثيرهما على الرؤية التكوينية لمعالم هذا القصير يزيد لدى المتلقي أو المهتم المقدرة الادراكية وخاصة من تفهم وتطور البيئة عموما وخاصية الفرد واهتماماته وقبوله بالتأثيرات المختلفة المسايرة للحاجة والاهتمام. كما اتضح في هذه الدراسة أن المكونات المعمارية بنوعيها: الأساليب البنائية والنتاجات الفنية لقصير عمرة، تشتمل على اهتمامات نظرية وعملية من حيث الوصف التكويني لعمارته فجاء ملائما لعمليات التقويم الحديث في العمارة والأساليب البنائية الحديثة، مثلما يعكس حالة من التطور التقني والفكرة نحو الإبداع، فاختلاف الأساليب، والخامات وغرابة المواضيع، والتكوينات من حيث النوع والأسلوب هي التي عكست التقويم النوعي فيه، وقد عرف هذا الأسلوب عند النقاد التشكيليين بالأسلوب ألتأملي وهو الأسلوب الذي يتجنب عنصر المحاكاة ويرفض تقليد الواقع فيستبدل بواقع يتناول الحقائق والجوهر والروح بتعبير رمزي، فأحال الشكل الخارجي والمظاهر العرضية إلى رموز وأسرار، مضامينها تأملية، وأشكالها تعتمد التوازن والتقابل والتناسب والتكرار، واستعاضت عن التجسيم بالعمق الوجداني. وما يؤكد استلهام الزمن، انتقال هذه الإبداعية إلى الفنون المعاصرة كعنصر تزويقي يستلهم بعض الحروف والعناصر الجمالية في قصير عمرة والمتمثلة ، برسومه التلوينية، وتصاويره، وفسيفسائيته، وتخطيطه وتصميمه وبكل أشكال مظهره الخارجي وكتلته وأقسامه .

التوصيات:

أولا: يوصي الباحثان بتسليط الضوء على المعالم الغنية في تاريخ العمارة العربية والإسلامية والتي ما زالت تحتاج إلى مزيد من الدراسات.

ثانيا: يوصي الباحثان بعمل دراسات مشابهة ومعمقة لأهميتها في رفد المكتبة العربية بالمعلومة الجادة التي تخدم تاريخنا الحضاري.

ثالثا: يوصي الباحثان بتوطيد العلاقة بين الفهم والممارسة في استخدام عوامل التصميم التراثي ومبادئه في التصميم الحديث من غير أن يطغى واحد على الآخر.

رابعا: يوصي الباحثان بقيام المؤسسات الثقافية بتغطية المرافق والأبنية التاريخية بكتيبات وبروشورات تبين أهمية هذه المعالم التاريخية والحضارية.

خامسا: يوصي الباحثان بضرورة حث المؤسسات الأكاديمية والفنية على دعم الدراسات والبحوث وتوجيه الدارسين نحو هذا الجانب الهام.

المصادر والمراجع

المراجع العربية والمعربة:

١- تتجها وزن، ريتشارد، فن التصوير عند العرب، ترجمة عيسى سليمان وسليم التكريتي، بغداد، ١٩٧٤.
٢- الباشا حسن، التصوير الإسلامي في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٥٩
٣- بهنسي، عفيف، الفن العربي الإسلامي في بداية تكوينه، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٢.
٤- بيلياف، أ (A.Belyaah) ، العرب والإسلام والخلافة العربية، ترجمة أنيس فريحة، مراجعة محمود زايد، الدار المتحدة، بيروت، ١٩٧٢.
٥- درادكة، صالح، طرق الحج الشامي في العهد الأموي، المؤتمر الربع لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، ١٩٨٩.
٦- الرشدان، وائل، معالم الحضارة الإسلامية في المملكة الأردنية الهاشمية، أيسسيكو، تونس، ١٩٩٤.
٧- اليحاوي، عبدالقادر، العمارة العربية الإسلامية خصائصها وأثارها في سورية، دار البشائر، دمشق، ١٩٩٩
٨- زيادين، فوزي، التنقيب الثري وتطبيقاته في الدراسة التاريخية تجارب الأردن، المؤتمر الثاني للآثار بالمغرب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٩.
٩- زيادة، نقولا، المراكز الإدارية والعسكرية في بلاد الشام في العصر الأموي، المؤتمر الرابع لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٨.
١٠-سعد عبدا لحميد زغلول وآخرين، دراسات في التاريخ الحضارة الإسلامية العربية، دار ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٦.
١١-سورديل دومنيك وجانين، الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي، ترجمة حسني زينة، دار الحقيقة، بيروت، ١٩٨٠.
١٢-صادق، محمود، الفن التشكيلي في الأردن، سلسلة منشورات تاريخ الأردن، عمان، ١٩٩٥.
١٣-علي، وجدان، الأمويون، العباسيون، الاندلسيون، دار البشير، عمان، ١٩٨٨.
١٤-كريزول، ك، الآثار الإسلامية الأولى، ترجمة عبدا لهادي عبلة، دار قتيبة للنشر، عمان، ١٩٨٤.
١٥-لانكستر، هاردنج، أثار الأردن، تعريب سليمان موسى، وزارة السياحة، عمان، ١٩٧١.
١٦-مصري، عبدا لله حسن، مفاهيم جيدة للمسح الأثري وعلاقته بحركة التنقيب، المؤتمر الثامن للآثار، المغرب، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٨.
١٧-المهتدي عبلة، القدس حضارة مدينة(أوراق مؤتمر الحضارة الإنسانية من المغارة إلى العمارة)، جمعية بيروت التراث، بيروت، ٢٠٠٢.
١٨-وبوزورث شاخت، تاريخ الإسلام، ترجمة محمد السمهوري وآخرين، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ج ٢، ١٩٨٨.
١٩-ألربضي، أنصاف، علم الجمال بين الفلسفة والإبداع، دار الفكر، عمان، ١٩٩٥.
٢٠- الزمان والمكان اليوم، ترجمة محمد الاتاسي، دار الحصاد، دمشق،2٠٠٢
٢١-شاكر عبدالحميد، التفضيل الجمالي،دراسة في سيكولوجية التذوق الفني،المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، ٢٠٠١
٢٢-زكي محمد حسن،القصور الاموية في شرقي الاردن،مجلة الكتاب،المجلد الاول،السنة الاولى،القاهرة،١٩٤٥
٢٣- غازي بيشة،قصير عمرة وروسومها الجارية ، مجلة الفكر العربي،السنة التسعة،العدد ٥٢، ١٩٨٨

المراجع الأجنبية :

Grabar, The Formation of Islamic Art, Yale University Press, USA, 1977
C. F.Charles Morris, Science, Art & Technology, The Kenyon, Review, 1939.

ملخـص

إن قصير عمرة ومثله الكثير من المباني كانت تشكل مراكز استقرار ولقاءات للبدو الرحـل فـي تلـك المنطقة. حيث أولى الخلفاء الأمويون هذه المنطقة أهمية خاصة، وأقاموا فيها العديد من القصور، كدليل واضح على الرخاء والاستقرار اللذين تميز بهما الحكم الأموي.

لا شك أن مثل هذه القصور قد اختيرت أيضا من حيث علاقتها بالمناطق العسكرية. فهي إذاً هامة مـن ناحية الاستراتيجية السياسية والعسكرية وهذا يشكل الحس الزماني للمكان. ومن ناحية أخرى فقصير عمره ،هو واحد من عشرة من المباني التي كانت توصف بأنها فريدة ،فهي تشكل استراحة لـرحلات الصـيد، ومكـان استجمام وراحة وهذا يشكل الحس المكاني للزمان.حيث أظهر التحليل أهميـة المضـامين فـي الرسـومات الجدارية التي عبرت بشكل واضح عن طبيعة الحياة الاجتماعية ونظام المراسـم وتقاليد الاسـتقبال واللقـاءات التي أظهرتها الصور والرسومات، وكذلك رسوم المهن والحياة العامة التي أظهرت طرائـق النقـل للحجـارة وطبيعة الملابس والأزياء والحس الشعبي للعامة، إضافة إلى مسائل ذات علاقة بأنماط التفكير وعلـوم الفلـك والمعرفة والثقافة التي أبرزتها رسوم الأبراج في سقوف غرف الحمام وغيرها.

ABSTRACT

Like many other buildings, Qusayr Amrah used to constitute one of the settlement centers and meeting places for nomadic Bedouins in that area where the Umayyad CaliPhs paid special attention to this region. There they built numerous palaces as a striking evidence of prosperity and stability which characterized the Umayyad rule.

But there is no doubt that such palaces were also chosen because of their relation with military zones. Thus they are important from a political and military standpoint, which constitutes the temporal sense of the locale. On the other hand, Qusayr Amrah is one of the buildings which used to be described as unique. They provided a resting place for hunting trips and a place for recreation, which constitutes the local sense of time. Analysis has showed the importance of implications in the murals which clearly expressed the character of social life, protocol, reception traditions and meetings as displayed by illustrations and drawings. In addition, there are the pictures of professions and crafts and public life which have showed the methods of transportation of stones, the style of dress and fashion and the popular sense of the common people. Other things revealed were issues related to patterns of thinking, astronomy, learning and culture as highlighted by the zodiacs illustrations in the roofs of bathing rooms and elsewhere in the building.